**المنهج الواقعي الجديد في العلاقات الدولية (النظرية الواقعية الجديدة)**

هنا يتم الحديث عن **النظام الدولي كمستوى للتحليل:** ويعتبر الحديث عن "النظام الدولي" كمرجعية أساسية في تحليل العلاقات الدولية حديثا ذو شجون؛ فلقد تباينت الرؤى حول هذا الموضوع إلى حد التناقض: فهناك من ينكر وجوده أصلا من أمثال **باتريك مورغان** الذي يقول بأنه لا يستطيع أحد أن يثبت وجود النظام السياسي العالمي رغم أن الجميع يعتقد بوجوده، وفي المقابل هناك من يؤمن بوجود النظام الدولي؛ حيث يقول **دورتي بالتسغراف** "بالطبع هناك وجود فعلي وملموس للنظام......هذا النظام هو عبارة عن تفاعل وتداخل الوحدات السياسية القومية والدولية، والتي تتأثر وتؤثر في بعضها البعض".

تنطلق النظريّات التي تأخذ بـ "النظام الدولي" كوحدة للتحليل أساسا من منطلق واحد هو حالة الفوضى التي تطبع الحياة في هذا النظام، ويتجلّى هذا الطرح بوضوح لدى الواقعيين الجدد، والليبراليين الجدد، وقبلهما المثاليين. وسنركّز على **الواقعية الجديدة** باعتبارها الإطار النظري الذي بنى كل أطروحاته على فرضية "فوضى البيئة الدولية".

لقد أرسى دعائم هذه النظرية المفكر الأمريكي **كينث والتز** Kenneth Waltz في كتابه **"نظرية السياسة الدولية"** 1979؛ أين جعل من فرضية "فوضوية النظام الدولي" المتغيّر المستقل الذي تتوقف عليه وتعود إليه كافة مظاهر التنازع وانعدام الاستقرار في العالم، ويشير الواقعيون الجدد إلا أنّ الفوضى التي يقصدونها ليست التشويش، بل إنهم يقصدون **غياب سلطة مركزية** قادرة على ضبط سلوك الدول، وهو ما يؤدي إلى طغيان الريبة والشك في النظام الدولي مما يؤدي إلى "انعدام الثقة" بوصفه أمرا متأصلا في هذا النظام(1)؛ فليس من الممكن التأكد من نوايا الآخرين في السياسة الدوليّة، ولهذا وجب على الدّولة اليقظة والحذر دائما.

إلى جانب كل هذا، وفي خضم تأكيدهم على محورية أثر بنية النظام الدولي على تفاعلات وحداته، يشير الواقعيون الجدد أنّ هذه الفوضى البنيوية في النظام الدولي -ولهذا يسمون بالواقعيين البنيويين- تستدرج هذه الوحدات -الدّول- إلى انتهاج سلوك الاعتماد على الذات أو المساعدة الذاتية "**SELF HELP"** لتكون قادرة على إدارة شؤونها بنفسها طالما أنه لا توجد سلطة عليا تتولى هذه الوظيفة.

إذن؛ وحسب الواقعية الجديدة فإنّه وفي ظل كل هذه الفوضى ستسعى الدول جاهدة لتعزيز قوتها وقدراتها - الدفاعية والهجومية- في ظل أجواء الريبة والشك وانعدام الثقة التي تسود النظام الدولي بفعل غياب السلطة المركزية الضابطة لسلوك الدول؛ فليس باستطاعة الدول التأكد من نوايا جيرانها في ظل نقص المعلومات، وهذا ما يفتح المجال واسعا للخطأ في التقدير، ويفتح مجال البيئة الدوليّة واسعا أمام السّلوكات العدائيّة المدفوعة بالريبة والشكّ.

إنّ التحليل المعاصر للنزاعات الدولية لابدّ أن يعتمد مقاربات مركبة عند النظر إلى النزاعات الدولية التي أصبحت تأخذا صورا وتعبيرات جديدة ومعقّدة بهدف الإحاطة بمجمل حيثياتها، ظروفها، أطرافها والمصالح المتضاربة داخل بيئتها، مع الإشارة إلى أن تحليل النزاع ليس خطـوة منفردة، بل يجب أن يكون التّحليل عمـلية متواصلة مع تـطور الأوضاع كي يمكن تكييف الإجراءات المطلوبة لتتماشى مع العوامل والديناميات والظروف المتغيرة.